العلاقة بين اللغة العربية وشقيقاتها اللغات الافريقية وأثرها في تنمية الثقافة العالمية(*)

بقلم : الدكتور علي القاسمي

المنظمة الاسلامية للتربية

والعلوم والثقافة ـ الرباط

تنبع اهمية هذا الملتقى الكريم من كونه يتناول بالبحث والتحليل عاملا اساسيا من عوامل التنمية الحضارية بكل جوانبها الروحية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية الا وهو العامل اللغوي . فاللغة ليست اداة اتصال وتوثيق نعبر بواسطتها عن المفاهيم والافكار والقيم ونحفظ بها التراث الثقافي والعلمي فحسب ، وانما هي كذلك عنصر جوهري من العناصر المكونة للثقافة والفكر تتجاوز اهميتها التعبير الى التغيير ، بحيث تؤثر القوالب اللغوية في البنيات الفكرية ، والانظمة المفهومية ، والانماط السلوكية للجماعة الناطقة بها ؛ ويعتمد التطور الاجتماعي الاقتصادي للجماعة على مدى قدرة افرادها على استعمال الوسيلة اللغوية استعمالا فاعلا مؤثرا .

وتلعب اللغة دورا رئيسيا في عملية التبادل الثقافي والعلمي بين المجتمعات المختلفة . ولهذا كله فقد اولت الدول المعاصرة تخطيط السياسة اللغوية اهتماما بالغا وعناية خاصة فشجعت البحوث المتعلقة بها ، وظهر نتيجة لهذا الاهتمام وتلك العناية علم جديد مشترك بين علوم الاجتماع والسياسة واللغة اطلق عليه اسم « علم اللغة الاجتماعي » ، موضوعه التنوع اللغوي ، وهدفه تخطيط السياسة اللغوية بصورة موضوعية وطريقة علمية ، ووسيلته البحث اللساني الميداني المقارن .

واذا كان لي ان احور عنوان الملتقى قليلا فانني افضل عبارة « العلاقات بين اللغة العربية وشقيقاتها

---

* القيت في الملتقى العلمي حول « العلاقات بين اللغة العربية واللغات الافريقية التي اقامته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع المعهد الثقافي الافريقي بداكار ، ابريل 1984.

اللغات الافريقية » لان تعبير « اللغات الافريقية » هو مصطلح جغرافي وليس مصطلحا لسانيا • وفي ضوء هذا الايضاح نلفي أن اللغة العربية لغة افريقية ، فهي لغة أم بالنسبة لاكثر من مئة وعشرين مليونا من الافارقة في مصر والسودان والصومال واثيوبيا وتشاد وليبيا تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وغيرها من البلاد كما أنها اللغة الدينية بالنسبة لملايين غيرهم من الافارقة المسلمين يتلون بها القرآن ، ويقيمون بها الصلاة ويمارسون بها المناسك •

والعلاقات بين اللغة العربية وشقيقاتها بقية اللغات الافريقية متنوعة متشعبة متشابكة كتنوع الروابط بين الشعوب الافريقية وتشعبها وتشابكها • وهي علاقات تتبلور في الضواحي التاريخية واللسانية والثقافية والاقتصادية والسياسية • فقد اسهمت اللغة العربية بتزاوجها مع بعض اللغات الافريقية في انجاب لغات افريقية جديدة وتنميتها كما هو الحال في ظهور اللغة السواحيلية واللغة الصوماليّة في شرق افريقيا ولغة اليوربا في غرب افريقيا ، بحسب احدى النظريات اللسانية • ومن الناحية الثقافية ، ادى انتشار الدين الاسلامي في المجتمعات الافريقية الى تبادل التاثير بين العربية ولغات تلك المجتمعات على جميع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، واستخدم الحرف العربي في تدوين كثير من هذه اللغات الافريقية، ولقرون عديدة قامت اللغة العربية بدور لغة التبادل التجاري في افريقيا • واللغة العربية هي اللغة الافريقية الوحيدة التي تستخدم لغة عمل في مؤسسات عالمية واقليمية ووكالاتها المتخصصة تتمتع الدول الافريقية بعضويتها كمنظمة الامم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، ومؤتمرات عدم الانحياز •

واذا كانت العربية قد منحت شقيقاتها اللغات الافريقية كثيرا من المفردات الحضارية والمصطلحات التقنية ، فان للغات الافريقية فضلا على العربية لا يمكن تجاهل أهميته أو نسيان خطره • فقد كانت اللغات الافريقية وما تزال أدوات اتصال لنشر الاسلام في ربوع القارة الافريقية ، فكانت بنشرها للاسلام تنشر معه اللغة العربية لغة القرآن الكريم • أضف الى أن علماء افريقيا قد أثروا اللغة الربية بما ألفوه فيها من ابحاث ودراسات قيمة في شتى مجالات المعرفة •

ويعتمد نمو العلاقات بين اللغات الافريقية على ازدهار العلاقات بين شعوبها ، كما أن الاخير متوقف على الاول كذلك • ولكي يضع الباحث الوسائل الكفيلة بتنمية العلاقات بين اللغة العربية وبقية شقيقاتها اللغات الافريقية لا بد أن يبحث في الوضع اللغوي في القارة الافريقية •

فاذا ألقينا نظرة فاحصة سريعة على الخريطة اللغوية للقارة الافريقية نقف على الظواهر والحقائق التالية :

1 ـ ان أكثر البلاد الافريقية ـ باستثناء معظم الدول العربية ـ تشتمل بصورة عامة على ظاهرة تعدد اللغات الوطنية •

2 ـ على الرغم من أن اللغات الافريقية غنية بثقافاتها وآدابها فان كثيرا من هذه اللغات لم يدون لحد الآن ، وان بعض ما دون منها لا يتوفر على مكتبة متكاملة في العلوم والآداب والفنون •

3 ـ وبسبب الظاهرتين السالفتي الذكر ولعوامل أخرى، فان كثيرا من الدول الافريقية ـ العربية منها وغير العربية ـ ما تزال تستخدم لغات الاستعمار القديم

ـ كالانجليزية والفرنسية ـ في الادارة أو التعليم أو كليهما بدرجات متفاوتة ، وكذلك في الاتصالات الخارجية ٠

4 ـ لقد سعت القوى الاستعمارية الى دفع اللغات الافريقية المكتوبة بالحرف العربي الى التخلي عنه واستعمال الحرف اللاتيني بدلا منه ، وذلك لقطع شعوبها عن تراثها المدون بالحرف العربي، وعزلها عن بقية الشعوب الافريقية التي تستخدم لغاتها الحرف العربي ، والحيلولة بينها وبين تلاوة القرآن الكريم ، وتيسير ربطها بالقوى الغربية ثقافة وسياسة واقتصادا ٠ وقد نجحت هذه القوى الاستعمارية في مسعاها هذا في حالات كثيرة ٠

5 ـ ان تعليم اللغة الثانية أو اللغة الاجنبية في المدارس الابتدائية والثانوية في كثير من الدول الافريقية يقتصر على لغات الاستعمار القديم كالانجليزية والفرنسية والاسبانية وبعض اللغات الاوربية الاخرى ٠ ففي الاقطار العربية الافريقية مثلا لا توجد مدرسة ثانوية تتيح لطلابها فرصة تعلم لغة من اللغات الافريقية كالولوف أو الهوسا أو السواحيلي أو الصومالي ٠ فاذا أضفنا الى هذه الظاهرة ندرة المعلمات عن الاقطار الافريقية في المنهج المدرسي لهذه الاقطار نقف على أسباب جهل المواطن العربي الافريقي ببقية بلاد القارة الافريقية وثقافاتها ٠٠

6 ـ باستثناء أقسام الدراسات العربية الاسلامية ، وباستثناء العدد القليل من أقسام الدراسات الافريقية ، تتسم الجامعات الافريقية عموما والجامعات العربية منها خصوصا بافتقارها الى أقسام متخصصة في الشؤون الافريقية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ينبغي أن تكون فيها اللغات الافريقية حجر الزاوية ، وينتج عن هذا عدم تخريج هذه الجامعات للعدد الكافي من المتخصصين في الشؤون الافريقية ، الذين يسهمون بما يبحثون ويكتبون ويترجمون في تمتين الروابط بين البلاد الافريقية وتعريف شعوبها بعضها ببعض ٠

واذا أدركنا أن للوضع اللغوي انعكاساته على التنمية الاجتماعية والاقتصادية الوطنية من جهة ، وعلى العلاقات بين البلاد الافريقية من جهة ثانية ، فانه يتوجب علينا توجيه فائق العناية الى التخطيط اللغوي، وهنا تطرح المؤشرات الرئيسية التالية نفسها على بساط البحث ٠

1 ـ تنمية اللغات الافريقية الوطنية واحلالها محل اللغات الاجنبية في الادارة والتعليم والتجارة ٠

2 ـ تعليم اللغات الافريقية في مدارس الدول العربية وجامعاتها ، بحيث لا تفرض على الطالب العربي في المدرسة الثانوية لغة أوربية أو لغتان أوربيتان ، وانما يعطي الفرصة لاختيار لغة افريقية واحدة على الاقل ٠

3 ـ تعميم أقسام الدراسات الافريقية ـ بما فيها اللغات الافريقية ـ في كل الجامعات العربية ، وتعميم أقسام الدرسات العربية الاسلامية في جامعات البلاد الافريقية غير العربية باعتبار أن الاسلام قد أسهم برافد متميز في اثراء ثقافات الشعوب الافريقية ، وتنميتها روحيا واجتماعيا وعلميا ٠

4 ـ تشجيع تعليم لغة افريقية عالمية واحدة في جميع الاقطار الافريقية وفي كل مراحل التعليم ، لتكون

لغة تفاهم مشتركة بين الشعوب الافريقيـة ، ووسيلة اتصال بينها وبين الشعوب الاخرى ، ولا حاجة الى القول بأن اللغة الافريقيـة التـي توفرت لها مقومات تأدية هذه الرسالة هي لغـة القرآن الكريم التي انتشرت بانتشار الاسلام في مشارق الارض ومغاربها ، وأسهمت ومـا زالت تسهم بجدارة في تطور الفكر الانساني ، وأصبحت لغة عمل في المنظمات العالمية والمحافل الدولية ، ان تعميم العربية في المدارس الافريقيـة يـزود الطالب الافريقي بأداة اتصال عالمية ، ووسيلـة تواصل مع الشعوب الافريقية الاخرى ، ويفتـح أمامه آفاق الثقافة العربية الاسلامية الشاسعة ، ويزيده فهما وادراكا للغاته الوطنية التي تربطها مع العربية وشائج تأثيلية متينة ٠

وختاما اسمحوا لي أيها السادة أن أكـرر لكـم شكري باسم المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة على توجيهكم الدعوة الكريمة للمشاركة في هذا الملتقى الموقر ، الذي سيزخر ـ ولا شك ـ بالبحث القيم والنظر الصائب والحـل النـاجـع ٠